

بهذه الخليفة الأرضية، التي تخضع لديها رسل السماء الملائكية، وهو بذلك يسلمها مقاليد الخلافة الأخيرة السامية، وكرسي التعليم للملائكة؟!!

إنه كله في ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ...﴾ فانظر ماذا ترى!

فهل الأسماء هنا هي - فقط - أسماء الأشخاص والأشياء؟ و«هم» و«هؤلاء» لا تعنيان إلا ذوات عقلاء! ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾... ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾! ومن ثمّ وما قيمة علم هذه الأسماء وكثيرون يعلمون كثيراً من الأسماء وليسوا بأفضل ممن لا يعلمونها، ولو أن الملائكة علّمتها كما علّم آدم لكانت مثل آدم كما أنبأهم بها بما أمر الله.

فليس علم هذه الأسماء مما يتفاضل فيه، ولا أنه جناح من جناحي العلم بالله وتقوى الله، وهذه الأسماء إنما يحتاج إليها في تفاهم مسمياتها، والملائكة يتلقونها دون وسائط، ولا يحتاجونها كما يحتاجها الإنسان في الحاجيات الجماعية الأرضية!

أو أنها المسميات، حيث الاسم من الوسم<sup>(١)</sup>: العلامة - الدلالة، ودلالات الأسماء اللفظية على المدلولات هي من أضعف الدلالات، فأعلى منها دلالات الذوات والأفعال والصفات على مدلولاتها فيما بينها، ثم دلالات الكائنات كل الكائنات على مكوّنها بدرجاتها، ثم دلالات الرعيّل الأعلى من رجالات الله: بذواتهم وصفاتهم وتصرفاتهم وإرشاداتهم على الله

(١) هذا أحد وجهي الاسم أصلاً وقيل أصله سمو من السموّ: العلوّ، لأن تصغيره سمي، فلو كان من وسم: العلامة، لكان تصغيره وسيم، والعلامة أنسب له معنى، والعلوّ لفظاً، وعلّهما معنيان أحياناً وأحدهما أخرى، أو يقال إن الاسم السمو يناسبه معنوياً كما اللفظي فإنه يعرف به ذات الشيء، فبه يرفع المسمى عن حضيض المجهول، ولكلّ وجه، والأوجه أن السماء من السمو: العلو والرفعة، والاسم من وسم: العلامة، أو ومن السمو أيضاً. ثم الاسم قد يكون مأخوذاً من «شما» آرامية وعبرية، وهي تستقل عن مادة السماء: الرفعة، وذكرها في مادة السمو غفلة عن تحقيق أصل الكلمة.

ثم الذروة العليا منهم وهي الحقيقة المحمدية العظمى فإنها الآية الكبرى وأعظم أسمائه الحسنى بين الممكنات، بجنب ما لله من سائر الأسماء الحسنى، ﴿يَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (١) ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (٢).

فأحرى بهم هؤلاء أن تعينهم الأسماء التي علمها آدم كلها: أنهم أنبياء الله ورسله.

ولكنما التعلّم لا يناسب الذوات، وإنما هو التعريف، ثم ويبقى السؤال كيف يفضل آدم على الملائكة لأن الله علمه دونهم، ثم كلفه أن ينبئهم بها؟ في الحق إن الأسماء هنا مجمع الاسمين ألفاظاً وذوات، ولأن بداية المعرفة كانت بالنسبة للألفاظ صح التعليم، مهما انتهت الى معرفة الذوات، وقد تبين هنا لهذه الخليفة فضيلتان اثنتان:

الأولى لآدم حيث علّم الأسماء ألفاظاً وذوات ثم لم ينبئ الملائكة بالذوات وإنما ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ وإن كانت تكشف أشباحاً من هؤلاء الذوات، ولكنه قليل بجنب ما عرفه آدم من الذوات، تدليلاً على أن الملائكة ليست بالتي تتمكن أن تعرف أو تعرف حقائق هذه الذوات، بياناً لكيانهم بما خلق الله: أنه محدود بما حدّد الله، دون هذه الخليفة التي منها آدم، فليس علمه محدوداً لحدّ، فهم: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (٣) والخليفة: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (٤).

والثانية أن هؤلاء الذوات هي الأصيلة في هذه الخلافة، مهما كانت

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٦٤.

(٤) سورة طه، الآية: ١١٤.

لأشباههم في الصورة الإنسانية تخلّفات وترذّلات من إفساد وسفك دماء، فإن هؤلاء الأشباح لا تشبه أشباهها في المعنى مهما شابهتها في الصور.

لذلك ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾: أسماء هؤلاء الخلفاء كلها، وذواتهم بأشباحهم كلهم، تجنيداً ورضاً لآدم أولاً لكي يعرف موقعه أنه يحمل في صلبه هذه الأمانات الغالية، وللملائكة لكي يعلموا: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾ من هذه الخليفة ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فهناك البون الشاسع بينكم وبينه لحدّ لا تعرفون حقائقهم إذ لا تتمكنون، حيث هم في الذروة العليا، وما أنتم بها حتى تحيطوها معرفة وعلماً، فإنما أنبئتم بأسمائهم لكي تتعرفوا حسب المستطاع إلى ذواتهم. قدر ما تعلمون: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾!

فالأسماء الذوات هي المعروضة هنا على ملائكة السماوات،: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ دون «عرضها» حيث العرض للذوات، ودون «عرفهم الملائكة» حيث العرض لمنظر من الأشباح، لا حقائقها كلها - لأن هؤلاء من غيب السماوات والأرض: ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهم - أو معظمهم - رجالات الله: النبيين والمرسلين: حقائق عاقلة محجوبة تحت حجاب الغيب: غيب السماوات والأرض، كشف الله لآدم منها أسماء ذوات، وأنبا الملائكة بأسمائهم بآدم، ولكن ترى: إنباء الأسماء فقط دون أي كشف عن حقائقها؟ إذا فكيف عرفت الملائكة فضلهم، وعرفت فضل آدم بما علّمهم دونهم!

فليكن في عرض هؤلاء الذوات على الملائكة، وإنبايهم بأسمائهم - ليكن في هذا الإنباي وذلك العرض تعريف ما بالذوات، يكفي لهم إقناعاً: أنهم هم الأفضلون في الفضائل كلها، لحدّ لا يحيطون - وحتى - معرفة بجنابهم وعلماً بذواتهم كما يحق.

فهنا تعليم وعرض وإنباي خص آدم بتعليم الأسماء والذوات، وهو فوق

العرض والإنباء، حيث خُصَّ بهما الملائكة، فقد أنبأت بأسمائها بعد ما عرضت عليهم ذواتها، إلا أن هذا الإنباء والعرض ما عُلِّمها الملائكة قدر ما علّم آدم بالتعليم!

فَعَرَّضَهَا أَنْ عَرَّفَهُمْ شَبْحًا مِنْ أَشْبَاحِهِمْ يَسْتَشْرَفُونَهَا مِنْ بُعْدٍ وَلَمَّا، وَقَدْ كَانَ الْعَرَضُ بِحَيْثُ تُسْتَعْرَضُ مِنْهُ أَسْمَاءُ الْمَعْرُوضِينَ لِمَنْ يُوْهَلُ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ مَعْنَى ل: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ لولا أن العرض يُنبئهم!

ثم وإنباء أسمائها زادتهم معرفة، ولحدّ الإقناع ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: إنهم أعلى منكم محتدًا وفي التسييح والتقديس، دون إحاطة على هذه الحقائق النورانية التي تخطف الأبصار، فلا تبصر منها إلا بحدود الإبصار، فلكلّ من العرض فالإنباء بالأسماء دوره في تعريف ذواتهم قدر إمكانية الملائكة، وكما أن تعليم الأسماء عرّف آدم الذوات والأسماء قدر إمكانيته فوقهم، لحدّ أصبح يُنبئهم بأسمائهم!

ذلك! ولم يكن آدم وقتذاك نبياً حيث ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾ - بعد ذلك - فَعَوَى ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٣﴾ (١) وهذا الاجتباء ثم الهدى هما النبوة بعد إذ تاب عما عصى.

ف ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ في بداية الجواب، كان له دور الإقناع دون شهود، ولكنما العرض والإنباء لهما دور الإقناع بشهود، حتى أتى موقع التنديد التذكير: ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾!

فقد عجزت الملائكة من استنباء أسماء هؤلاء بعد عرضهم عليهم،

(١) سورة طه، الآيتان: ١٢١، ١٢٢.

وكان العرض بحيث ينبئ، وعجزت أن تعرف حقائق هؤلاء الذوات المقدسة: الخلفاء، وكان الإنباء بعد العرض مما يعرف، وقد خص آدم ﷺ بتعليم الأسماء بالذوات دفعة واحدة، مما يدل على رجاحة ميزانيته عليهم<sup>(١)</sup>، وعلى أفضلية هؤلاء الخلفاء كذلك.

وبطبيعة الحال حصلت لهم أشباح من المعرفة بهذه الذوات حسب الدرجات، ولكننا الحقيقة المحمدية لم تكن تظهر لهم ولا لآدم كما يحق، فقد بهروا وتحيروا منها، واستدلوا بما عرفوا مما دونها على تلکم القمة العليا<sup>(٢)</sup> وتعبدت لهم الطريق لكي يسجدوا لآدم كما أمروا!

... ﴿فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم ﴿وَمَنْ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ وأنكم الأفضلون من هذه الخليفة - ﴿صَادِقِينَ﴾ في سؤالكم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾؟

فها أنتم لم تعرفوا أسماءهم بعدما عرضوا لكم بأشباحهم فكيف تدعون؟.. ثم وبعد أن تعرفوا أسماءهم فتزدادون بهم معرفة بعد ما أنبأكم آدم، فتعرفون من هم، فأين هم وأين أنتم؟!

﴿فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ... وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ مما تقولون ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: وقد كتبه الله عنا إلا ما بينه عن إبليس.

فقد «عجزت الملائكة على قربهم من كرسي كرامته وطول ولههم إليه

(١) في معاني الأخبار وكمال الدين وتمام النعمة وعن الصادق ﷺ: إن الله ﷻ علم آدم أسماء حججه كلها ثم عرضهم وهم أرواح على الملائكة فقال: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] بأنكم أحق بالخلافة في الأرض.

(٢) تفسير البرهان ١: ٧٣ عن تفسير الإمام الحسن العسكري ﷺ في آية الأسماء قال: أسماء أنبياء الله وأسماء محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين والطيبين من آلها - ثم عرضهم -: عرض محمداً وعلياً والأئمة على الملائكة، أي عرض أشباحهم وهم أنوار في الأظلة.

النبي ﷺ في تعيين أفضل المخلوقين نقلاً عن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنني رأيت خمسة أشباح نورانية مكتوبة أسماؤهم على العرش في غاية العظمة والجلال والجمال والكمال والحسن والضياء والبهاء، حيث أغرقتني أنوارهم في الحيرة..

قلت: يا رب! من هؤلاء، فإذا أنا ناظر الى العرش أرى هذه الأسماء:  
 پار قلیطا = محمّد. إيليا = علي. طیطه = فاطمة. شبر = حسن. شبر = حسين.

«إني لهويوه أنا لبرين وارخ لا الشماى ولا أل ارعا ولا الپردس ولا الكهين ولا الشمس ولا السعر».

«لولاهم لما خلقتك يا آدم ولا السماء ولا الأرض ولا الجنة ولا النار ولا الشمس ولا القمر».

«هليلوه لت شوق مني محمّد انوي داله»

«هللوني فإنه لا إله إلا أنا ومحمد رسولي»<sup>(١)</sup>.

(١) هذه البشارة ينقلها جديد الإسلام في كتاب أنيس الأعلام ج ٢ عن النسخة السريانية من كتاب إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ في مكتبة الآثار في لندن المطبوعة ١٨٩٥ ص ٥١٤ - ٥١٥ بالتفصيل الآتي. فيما كان إدريس النبي ببابل في معبده، ينقل هذه القصة بين جمهور من أصحابه: اختلف ولد أبيكم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ يوماً في: من هو أفضل الخليفة؟ - فقال بعضهم: إنه أبونا آدم إذ خلقه الله بيد قدرته ونفخ فيه من روحه وأمر ملائكته بتعظيمه وتكريمه وجعله معلمهم وخليفة في الأرض. وقال آخرون: الملائكة أفضل من أئينا فإنهم لم يعصوا الله ولن يعصوه، وأبونا آدم عصاه فأخرجه الله وزوجه من الجنة، مهما تاب عليه وهداه ووعد المؤمنين من ذريته الجنة. وقال ثالثة إن أشرف الخلق هو الملك العظيم جبرئيل أمين رب العالمين. زادت خلافتهم فقال آدم: اسمعوا حتى أخبركم بمن هو أفضل خلق الله: لما خلقني الله ونفخ في من روحه جلست فرأيت: . . .

وهكذا نرى في إنجيل برنابا ٣٩: ١٤ - ٢٨ ولكنه لم يأت إلا بذكر الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (راجع كتابنا: رسول الإسلام في الكتب السماوية).

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَفَرٌّ وَمَتَّعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾

.. معركة مصيرية دائبة تنبثق بين خليفة الخير: آدم، وبين خليفة و تعظيم جلال عزه وقربهم من غيب ملكوته أن يعلموا من أمره إلا ما أعلمهم وهم من ملكوت القدس بحيث هم، ومن معرفته على ما فطرهم عليه أن قالوا: ﴿سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ (١).

فيا لهذا النسل الأخير الإنساني من مكرمات جعلته خير الأنسال الترايية - لا فحسب! فقد فضّلته على ملائكة السماء، فلا أفضل منه في تاريخ التكوين: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٢) فليس في الخلق أقوم منه، اللهم

(١) نور الثقلين ١: ٥٥ عن التوحيد للصدوق خطبة لعلي عليه السلام يقول فيها: ..

(٢) سورة التين، الآية: ٤.

إلا أن يماثله من لا نعرفه: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(١)</sup> فمن هذا القليل الذي يزامله في هذه القوامة الحسنى؟ لا ندري!.

ثم اللهم إلا أن لا يعرفوا كيانهم فيردون إلى أسفل سافلين، بعد ما خلقهم الله في أحسن تقويم، في ذلك التعليم والإنباء والعرض عرض لكيان هذه الخليفة في معرض القياس على الملائكة، ولكي يعلموا أن هذه الخليفة الترابية البشر، المخلوقة من تراب من حملاً مسنون، هي أعلى من ملائكة السماوات! ولكي يعلم الإنسان من هو، فليجد بالسير الى مثله العليا.

نكات مستدركات حول هذه الآيات:

١ - ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ دون ﴿خَلِيقٌ﴾<sup>(٢)</sup> توحى أنه جعل خليفة بعد خلقه لا بخلق، وعلّ بداية خلافته حين نُبئ بعد ما ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾<sup>(٣)</sup> ثم ﴿أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَأَبَىٰ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾<sup>(٣)</sup> وإن كان تعليمه الأسماء وإسجاد الملائكة له قبل ذلك، فقد كفى إثباتاً لخلافته بذريته الأنبياء تعليمه الأسماء ذاتياً - وإنبائهم وعرضهم الأسماء حملاً لهؤلاء الخلفاء... .

٢ - ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: ﴿فِي﴾ من يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ فإنه مهما حصل فهو أقل ممن مضى، وليس مع ذلك ممن يعنى من ﴿خَلِيفَةٌ﴾ فإنها هم الأسماء التي سوف تعرض عليكم وتنبؤون بأسمائها.

أو ﴿صَادِقِينَ﴾ في ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ كأنكم أنتم الأعلون

في هذا المسرح.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٨.

(٣) سورة طه، الآيتان: ١٢١، ١٢٢.



أو ﴿صَدِّقِينَ أَنْثُونِي﴾ في معرفة هذه الخليفة، أن تدفعكم للحكم عليها ولأنفسكم، أم ماذا؟

٣ - ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾: ننزهك عن أن نقول بغير علم، أو أن تجعل فيها من يفسد فيها. . أو أن نعلم قبل أن نعلم -:

٤ - ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ توحى أن علوم الملائكة إنما هي بالتعليم الإلهي وحيًا دونما محاولة منهم أو تحصيل، كدحاً في تعلم أو تفكير، إلا وحيًا، ومن مميزات الإنسان عدم انحصار علومه بهكذا وحي، فله استخدام مختلف الوسائل للحصول على علوم مهما قلت أو كثرت، ومهما أخطأ فيها لو سلك غير سبلها.

فعلم الوحي في الملائكة والناس على سواء في عدم تكلف التحصيل، ثم للإنسان علم زائد يحصل له بتحصيل، وهو ليس للملائكة دون وحي إلا جهلاً، ولكنه للإنسان علم بعد علم الوحي، مهما تورط في مجاهيل.

ف ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ اعتراف ثان بقصورهم وجاه هذه الخليفة: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ دون سواك، تعلم ما تفعل وتفعل ما تعلم: ﴿الْعَكِيمُ﴾ في أفعالك كلها كما هنا وإنما نحن الخاطئون!

هنا يحسن بنا عرض نظير القصة من الأصل السرياني لكتاب إدريس الشر: إبليس، عندما يؤمر الملائكة بالسجود لآدم، ندرس هذه المعركة بأجوائها وأرجائها ومخلفاتها ومعداتها من خلال الآيات التي تستعرضها تصريحاً أو تلميحاً وقد صرح بها في مواضع سبعة<sup>(١)</sup> هذه منها:

(١) المواضع الستة الأخرى هي: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴿١١﴾ [الأعراف: ١١] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ يَا سَجْدٌ لِمَنْ خَلَقْتَنِي سَبْطًا ﴿٦١﴾ [الإسراء: ٦١] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنِ ﴿٣٤﴾ [البقرة: ٣٤] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴿٥٠﴾ [الكهف: ٥٠] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ [الحجر: ٢٩].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٤) :

﴿وَإِذْ﴾ قد تكون عطفاً على ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ ثم وعلى المحذوف في ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ إذ . . ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ بياناً لأهم ما كانوا يكتُمون من الاستكبار عن السجود لآدم، كما حصل لإبليس ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ظهور العصيان إذ كان يكتُم كفره .

وترى متى قال للملائكة اسجدوا لآدم؟ وكيف أمروا أن يسجدوا لآدم؟ وإذ لم يكن إبليس من الملائكة: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ (١) فلا يشمله أمر الملائكة فكيف أبى واستكبر، فهل عما لم يؤمر؟!

إنهم أمروا أن يسجدوا لآدم قبل خلقه: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ (٢) فموقع الأمر قبل خلقه، وموقع السجدة بعد خلقه، وقد تكون بعدما علّم آدم الأسماء كلها لتكون السجدة أمكن وأمتن، أو تكون قبله لتكون المحنة أتم، ولكن فلنسكت عما سكت الله عنه .

وأما السجود لآدم، فهل المسجود هنا آدم عبادة؟ ﴿أَمَرَ آلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (٣) فلا يمكن أن يأمر بعبادة غير الله، فإنها تسوية ضالة ظالمة بين الله وسواه: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنتَ لفي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٩٧) إِذْ نَسُوکُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ (٤) ثم ولا طائل تحت هذه العبادة اللهم إلا دفعاً لعبادة غير الله، اتباعاً لملائكة الله!

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٠ .

(٢) سورة ص، الآيتان: ٧١، ٧٢ .

(٣) سورة يوسف، الآية: ٤٠ .

(٤) سورة الشعراء، الآيتان: ٩٧، ٩٨ .